رؤية أخرى للسلام

علي الصراف
كاتب عراقي

المنطقة لم تزرع إلا العداء المستحكم على الكراهية والعنف. لقد كانت مُجبرة على ذلك أيضا لأسباب وظروف شتى، هي كل تاريخ الصراع منذ نشأة إسرائيل إلى يومنا هذا.

وكلما نشأ عمل ينتسب إلى هذا التاريخ، كلما عاد العداء ليستحكم من جديد، فيطلق مواقف وشعارات ودعوات هي ذاتها التي ظلت تتكرر على امتداد أكثر من سبعين عاما. ولم نحصد من زرعها إلا المرارات، وأكثر منها الفشل.

السلام عندما يكون خيارا قائما على فكرة القبول بالآخر والتعايش السلمي والأمن المشترك فإن التسويات والتنازلات سوف تصبح ممكنة لأنها تنطلق من معايير الوجود المشترك لا الفصل بين متحاربين

والفشل لم يكن حصتنا الخالصة. الإسرائيليون أنفسهم يعانون من فشلهم الخاص، ومنها تمزقات الدين والسياسة والمجتمع، رغم كل ما يبدو أنهم حققوه من نجاح.

هناك حاجة إلى رؤية أخرى. هناك حاجة أهم إلى بناء استراتيجيات قائمة على قراءة متمعنة للواقع، وتكون قادرة على أن تحرث في أرض مختلفة، لزرع مختلف. وسواء كان ذلك يعني استمرار الأخذ بـ"حل الدولتين" أو "الدولة الديمقراطية الواحدة" أو أي حل آخر، فإن رؤية صلبة، ومتوافقة، هي الشيء الأول الذي يتعين البدء به.

الإقرار بحق إسرائيل في الوجود، أصبح أمرا لا جدال فيه. ليس لأن الفلسطينيين أقروه قبل غيرهم، بل لأن هناك عوامل أخرى يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار.

العامل الأول، هو أن إسرائيل من حيث التكوين السكاني، كائن حي، يتغير في داخله، ويتأثر بخارجه. المعنى الأهم لهذا العامل هو أن النظرة إلى إسرائيل كقالب جامد، سطحية للغاية. أنظر إلى طبيعة المجموعات السكانية التي تحمل الهوية الإسرائيلية وسترى مزيجا استثنائيا.

عدد سكان إسرائيل عام 2018 بلغ نحو 8.8 مليون نسمة وفقاً لتقرير للمكتب المركزي الإسرائيلي للإحصاء. اليهود الشرقيون، وهم من أصول عربية، يشكلون نحو 40 في المئة من مجموع السكان. ويشكل اليهود نسبة 74.5 في المئة من مجموع السكان، فيما يشكل العرب الفلسطينيون من المسيحيين والمسلمين 20.9 في المئة، بنحو 1.849 مليون عربي، أما النسبة الباقية والبالغة 4.6 في المئة فهم من المسيحيين غير العرب، وديانات أخرى، ومن غير المنتسبين إلى أي دين. ويصنف 44.3 في المئة من السكان الإسرائيليين أنفسهم بأنهم علمانيون، في حين 21.4 في المئة يعتبرون أنفسهم محافظين، و12.3 في المئة محافظون مع ميول دينية، و11.5 من المتدينين، 10.2 في المئة من اليهود المتطرفين.

وهناك ما يبرر القول، حسابيا على الأقل، بأن الأصول العربية لسكان إسرائيل هي الغالبة.

التمعن في هذا الواقع، الذي لم يُقرأ جيدا، بكل ما ينطوي عليه من تفاصيل إضافية مثيرة، تجعل بناء تصور على أساس "القالب" أمرا بعيدا عن الحكمة. ولا يمكن بالاستناد إليه بناء موقف سياسي أو استراتيجي سليم.

العامل الثاني، هو أن حالة العداء المستحكمة التي سيطرت على العلاقة بين هذا الكيان ومحيطه الجغرافي، لم تسمح لذلك التنوع أن يُظهر ميزاته، ولا تأثيره على الخيارات السياسية التي تتبناها الأحزاب الإسرائيلية.

أنظر أيضا في التفاوت والحركية الهائلة في طبيعة هذه الأحزاب ولسوف تكتشف أنها تعكس مقدارا كبيرا من الحركية داخل المجتمع الإسرائيلي نفسه. حيث يمكن لأحزاب كبرى أن تضمحل، بينما تنشأ أحزاب جديدة تحتل مواقع أكبر في الخارطة السياسية.

وحالة الحرب، إنما ظلت تدفع هذه الحركية في اتجاه واحد، هو مقابلة العداء الشمولي، بعداء شمولي آخر. والرغبة بالسحق والمحق، برغبة مضادة للسحق والمحق، بكل ما يعنيه ذلك، من سياسات تمييز وكراهية ظل معظم سكان إسرائيل يعانونها، من جانب المجموعة الأشكنازية الحاكمة.

أما العامل الثالث، فهو حقيقة أن إسرائيل رقم في معادلة دولية لا يمكن شطبها بقرار ولا بشعار. وبمعنى من المعاني فإنها رقم يحظى بحماية مطلقة من جانب الغالبية العظمى من دول العالم. وهي صخرة، باتت مناطحتها شيئا يوهن قرن الوعل.

وهناك عامل رابع، هو العالم نفسه، والمنطقة معه، وهي التي تشهد متغيرات اقتصادية وسكانية وسياسية واستراتيجية، أشبه بتسونامي حقيقي. وما لم يكن المرء قادرا على النظر إليها بإمعان، فإن خياراته حيالها سوف تصاب بالعمى، وغالبا ما تأتي عواقبها كارثية.

الشيء المهم في هذا التسونامي هو أنه يشمل إسرائيل أيضا. بمعنى أنه يصيبها بما يصيب غيرها، ويقلب معادلاتها مثلما يقلب معادلات الواقع الذي يعيشه الآخرون.

اخرج من القالب، وسترى إسرائيل بصورة مختلفة. وعندما يتاح للإسرائيليين أن يخرجوا من قالبهم المضاد، فلسوف يمكنهم رؤية الفلسطينيين والعرب والمسلمين بصورة مختلفة أيضا.

هذه الصورة، لا يمكنها أن تلغي الجوانب التي يتمسك بها العرب والمسلمون والفلسطينيون. هذا نزاع على حقوق ومقدسات يكاد لا يمكن المساس بخياراته ومعادلاته. وهو ما يتفهمه العالم، كما يجد بين الإسرائيليين من يتفهمه أيضا.

هناك اضطهاد، وأعمال تمييز، وجرائم ترتكب بحق الفلسطينيين، وأخرى ترتكب من جانب الطرف الآخر في نوع من رد الفعل. ولكنها دائرة عقيمة للغاية. وكل جزء منها يدخل في زاوية من زوايا قالب العداء والاستعداء المتواصل، والتحريض على الكراهية والنبذ.

لسنا وحدنا من يريد سلاما عادلا ودائما لكي نلتفت إلى ما يتوجب علينا الانشغال به من قضايا التسونامي. الإسرائيليون يواجهون الوضع نفسه.

ولئن وجد بيننا من يميز بين اليهودية والصهيونية، ليقر بأن اليهودية جزء من تاريخ المنطقة، وأنه لا عداء مع الدين، وإنما مع المشروع الصهيوني، فالحقيقة هي أن الصهيونية مشروع أيديولوجي كغيره من المشاريع الإيديولوجية الأخرى محكومة بالكسر ما لم تكن قادرة على التعديل أو التجاوب مع متغيرات الواقع.

إسرائيل كيان اجتماعي وسياسي هش. والهشاشة إنما تعني أنه ما يزال قيد التشكيل. وعلى هذا الأساس، فإن التأثير فيه أمر ممكن. كما أنها ليست قوة مخيفة أيضا. الخوف إنما هو خوفها الخاص. ولكن إذا لم تكن تريد للقالب أن يكون هو الحاكم، فيجب أن تكون قادرا على أن تفتح فيه أبوابا وشبابيك، لكي يدخل إليه هواء جديد.

بكل بساطة العبارة وعمقها، فإن خيار السلام الذي تبنته الإمارات، عاقل وحكيم، لأنه يقرأ معادلاته من خارج القالب. بل ويريد أن يدفع الإسرائيليين أنفسهم إلى الخروج من القالب الآخر الخاص بهم. ولو توفرت رؤية عربية في هذا الاتجاه، تجمع بين الحرص على السلام والدفاع عن الحقوق الوطنية المشروعة للفلسطينيين، والرغبة الصادقة بالعثور على حل قابل للحياة، فإن كل ما نتج عن ثقافة العيش في قالبين للكراهية والعنف سوف يتهشم.

لا شيء يبرر أي تفاؤل ساذج. ولكن السلام عندما يكون خيارا قائما على فكرة القبول بالآخر، والتعايش السلمي والأمن المشترك، فإن التسويات والتنازلات سوف تصبح ممكنة، لأنها تنطلق من معايير الوجود المشترك، لا الفصل بين متحاربين.

وهو ما قد يسمح بحل "من خارج الصندوق"، لا يشبه بالضرورة كل ما نعرفه من حلول.

ولكنْ، عندما تختار أن تكسر القالب، فيجب أن تكسره فعلا. الحلول سوف تأتي عندما تُمهد لها أرض تصلح لزرع جديد.

الحوار الإستراتيجي مع واشنطن لتثبيت حالة التفاهم

عمر علي البدوي
صحافي سعودي

في توقيت مهم وشديد الدلالة، وعلى مقربة من النزال الانتخابي الذي تستعد له الولايات المتحدة والعالم لتحديد الساكن الجديد أو المتجدد للبيت الأبيض، تتابعت الحوارات الاستراتيجية التي جمعت الدول الخليجية بواشنطن، فيما يبدو أنه مسعى لتثبيت بنود التفاهم وشروط استقرار العلاقة والحفاظ على مكتسبات المرحلة الراهنة وتجنيب القيم الاستراتيجية رياح الحسابات التكتيكية والوقتية.

تبدو مفردة الاستراتيجية في نوع الحوار بين الطرفين دلالة كافية لتفسير حالة التفاهم على ثوابت العلاقة الضرورية في حسابات الخليج والمنطقة والعاصمة واشنطن، والخروج بها من مرحلة التوافقات الشكلية والتطمينات العابرة إلى تطوير حقيقي لمستوى التفاهم والتواصل وتبادل المنافع.

واشنطن لاعب مهم، ويجب تقدير حجمه وتثمين دوره في إرساء قواعد مستقبل المنطقة، لا يسع الخليج أن ينساق لدعايات رغبوية تثبط من حقيقة الفعالية الأميركية في الفضاء الدولي.

وهذا لا يعني بالضرورة وضع كل الرهان في سلة واحدة، إذ أضحت العواصم الخليجية فاعلة ومؤثرة ومستقلة بما يكفي لتنويع خياراتها، والاستفادة من وزن وتأثير ما طوّرته خلال العقود الماضية من صون استقرارها وتنمية قدراتها وتأهيل قوى الإنسان لديها.

قدّمت مرحلة الرئيس باراك أوباما وما رافقه من زمن فوضوي، درساً مهماً في إعادة النظر في طبيعة وشكل العلاقة مع المجتمع الدولي والعواصم المؤثرة فيه، وقد وصف ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان تلك المرحلة بقوله "خلال فترتي رئاسة أوباما، عمل ضد أجندتنا، ليس في المملكة فقط، بل في الشرق الأوسط، وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة عملت ضد أجندتنا، إلا أننا كنا قادرين على حماية مصالحنا، والنتيجة النهائية أننا نجحنا، والولايات المتحدة تحت قيادة الرئيس أوباما فشلت".

الآن، لا تنظر عواصم الخليج، لاسيما الرياض وأبوظبي، إلى واشنطن أو أي من شركائها في العواصم المهمة، نظرة عاطفية غير واعية، بل تنظر إليها بطريقة معتدلة ومحسوبة، شراكات حقيقية ومفيدة، قد تتأثر برياح الأحداث المتقلبة، لكن المهم أنها لا تتنكر للثوابت الاستراتيجية بما يشجع على الريبة والشك وفقدان الثقة المؤذي للجميع.

تعيش المنطقة مرحلة مختلفة ومنعطفاً مهماً في تاريخها، وليست رياح التطبيع التي تجمع بعض عواصمها بدولة إسرائيل، إلا واحدة من تجليات المرحلة المغايرة، ولا يسع المنطقة أن تكون رجع صدى لما تدلي به الانتخابات الأميركية في كل دورة.

يجب أن تتجاوز العلاقات هذه المواقف الانطباعية والمتذبذبة، وأن تستقر على شوكة الحوار العميق والاستراتيجي الذي ينجو بها من أمواج الأحداث ومناخات السياسة وتقلبات الأمزجة التي تحكم في كل مرة.

ينبغي أن تمدّ المؤسسات بين البلدان جسور التآزر والتناظر، بوصفها راعية لقيم الثبات والاستمرارية ومؤهلة لتطويرها، لضمان قطع الطريق على تسويق المشاريع الأيديولوجية في أروقة المؤسسات السياسية لتمرير أجندة لاعبين إقليميين يهدفون لاختراق المنطقة وتفتيت ممانعتها واحتواء مقدراتها والسيطرة عليها، قوى إقليمية تحفزها أحلام التوسع الإمبراطوري وأشباح من رماد التاريخ القديم، تعد المنطقة بعقود من الظلام والفوضى والخراب.

بقيت ضرورة واحدة لإنجاح برامج التواصل الاستراتيجي، وهي تقليص مسافات الاختلاف بين العواصم الخليجية، ليس على نحو متطابق تماماً، ولكن أقل حدة في تباييناته، لقد سبحت بعض عواصم الخليج لفترة في فلك مختلف تماماً عن بقية مجموعها الواحد، بما ضعضع من قيمة الكل الخليجي في حسابات العواصم الكبرى، وغرز عصا التشتيت والعرقلة في دواليب العمل على مشروع خليجي توافقي ومفيد لأطرافه، دون تنافس سلبي وتشاحن ضارّ.

أردوغان سلطان مهزوم في ليبيا

فاروق يوسف
كاتب عراقي

كان لقب "السلطان العثماني الجديد" يطرب الرئيس التركي رجب طيب أردوغان ويطرب سادته وأتباعه في التنظيم العالمي للإخوان المسلمين بالرغم من أن مخترعي ذلك اللقب كانوا قد اخترعوه على سبيل السخرية.

لقد صدق الرجل أن الخلافة ستنبعث من بين يديه وسيكون سيدها الذي سيكون في إمكانه أن يعيد لها الاعتبار بعد أن تضطر أوروبا إلى الاعتراف بتفوقه وعبقريته التي تمكنه من ابتزازها في أي لحظة يشاء.

وكان سلوك أوروبا بضغط من ألمانيا غريبا في موضوعة اللاجئين حين قبلت أن تهبه مليارات مقابل أن لا يغرقها بأمواج من اللاجئين السوريين. كان ذلك السلوك ينطوي على قدر هائل من التواطؤ الذي كان من الصعب تفسيره في حينه. وهو ما شجعه على القيام بمغامراته في شمالي سوريا والعراق وهما بلدان منتهكان ولا يتمتعان بأي سيادة.

لم تكن أوروبا معنية بشكل مباشر بتلك المغامرات البائسة ولم تظهر اهتمامها بتحول أردوغان إلى متعهد للإرهابيين الذين صار يوزعهم بين مختلف الفصائل المقاتلة السورية بعد أن يكون قد قبض الثمن.

في لحظة بدأ أردوغان كما لو أنه قد أخذ الضوء الأميركي الأخضر لتنفيذ مشاريعه التي يخدم من خلالها مصالحه الشخصية حيث كانت الأموال تتدفق عليه ومصالح جماعة الإخوان المسلمين التي صار أفرادها ينظرون إليه باعتباره إمام عصرهم.

مشهد أردوغان كان رثا وهو يعلق على اتفاق وقف إطلاق النار في ليبيا وطرد المرتزقة الأجانب منها، وهو ما يعني القضاء على الحلم الأردوغاني من خلال استمرار الحرب فيها

غير أن لحظة الصدام بروسيا حين أسقطت الدفاعات الجوية التركية طائرة روسية كان من الممكن أن توقظه من غفلته بعد أن تعرض لإذلال لم تعنه الولايات المتحدة وأوروبا على مواجهته. لقد صفعه بوتين في اللحظة التي تخلت عنه الدول التي اعتقد أنها تناصره في حربه ضد روسيا في سوريا.

لم ينتبه إلى أن خطأه يكمن في أنه حاول أن يجلس مع الكبار.

لذلك أعماه وهمه السلطاني فصدق أن مغامرته في ليبيا ستكون شبيهة بمغامراته السابقة على الحدود التركية وستمر بسلام وسينعم بوجود فائض شرق المتوسط وتحل قواعده العسكرية في شمال أفريقيا بالطمأنينة التي حلت بها في دولة قطر.

لذلك فإنه تلقى صفعة أوروبية لم يكن يتوقعها من خلال الموقف الأوروبي من مسألة وجود تركيا شرق المتوسط غير أن ما كان فاجعا بالنسبة له أن يخسر ليبيا.

كان مشهده رثا وهو يعلق على اتفاق وقف إطلاق النار في ليبيا وطرد المرتزقة الأجانب منها. وهو ما يعني القضاء على الحلم الأردوغاني في استنزاف ثروات ليبيا من خلال استمرار الحرب فيها. كما أن عودة مرتزقته إلى تركيا تعني توقف الهبات التي كانت تذهب لحسابه الشخصي.

لأول مرة في حياتي أرى سياسيا يكاد أن يبكي بسبب السلام. لم يتمالك أردوغان نفسه وهو يقول "إنني أشك في أن ذلك الاتفاق سيصمد". كان الرجل يرثي مشروعه ويقنع المعزين بتأجيل زيارتهم.

حدث نادر في التاريخ السياسي فعلا.

لقد ظهر بطريقة يحرص السياسيون على أن لا يظهروا بها. هذا هو أردوغان الحقيقي. إخواني شرير وحاقد يكره أن تنعم الشعوب بالسلام.

وكما يبدو فإن تاريخ أردوغان هو مجموعة متلاحقة من حلقات سوء الفهم.

لقد اعتقد أن الخلاف الغربي مع روسيا يتيح له أن يتطاول عليها.

في لحظة أخرى ظن أن ألمانيا التي دفعت الاتحاد الأوروبي إلى أن يدفع له ثلاثة مليارات يورو لتركيا من أجل أن تسيطر على اللاجئين ستقف معه في مغامرته شرق المتوسط.

وأخيرا كان في ليبيا ممثلا للولايات المتحدة وفاته أنها لا تريد لأحد أن يتدخل في شؤون ليبيا.

رجل حزين بخسارات متلاحقة أردوغان هذا. هو الآخر كان سلطانا مهزوما في ليبيا.

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk